ان تركيزنا على الدور الذي لعبه الشعر ولعبه الشعر الشعبي ، لا يعني ان المظاهر الاخرى من الانتاج الثقافي في فلسطين لم تلعب اي دور او أن دورها كان يسيرا : فالصحف والمقالات الادبية والقصص وحركة الترجمة لعبت مجتمعة دورا طليعيا لافتا للنظر . ففي مقال افتتاحي — مثلا — نشره يوسف العيسى عام ١٩٢٠ في النفائس نقرأ : « فلسطين عربية ، عربية بمسلميها ، عربية بمسيحييها ، عربية بيهودها الوطنيين ايضا ، فعلام يبيع حماها الاجنبي الصهيوني ... ان زوابع فلسطين لا تهدأ اذا فصلت عن سوريا وجعلت وطنا قوميا للصهيونية..» ان انطلاقات من هذا النوع ، منذ مطالع العشرينات ، هي التي شكلت المد الثقافي الثوري في الثلاثينات ، الذي لعب دورا مهما في تنمية الوعي وتفجير الثورة : اقلام مثل قلم عارف العارف وخليل السكاكيني (الناثر الحاد ، الساخر ، الجريء ، ابن معلم النجارة) واسعاف النشاشيبي (البورجوازي الكبير الذي تأثر بالسكاكيني وتبنى الكثير من آرائه) وعارف العزوني ، ومحمود سيف الدين الايراني ونجاتي صدقي (الصوت اليساري المبكر الذي ، في ١٩٣٦ ، مجد مادية ابن خلدون واعلن احتقاره للمثالية — وربما كان هو أول من أرخ للحركة الوطنية العربية منذ بدء عصر النهضة عبر تحليل مادي للاحداث ، ونشر بحوثه في « الطليعة » خلال ١٩٣٧ — ١٩٣٨) وعبد الله مخلص (الذي أخذ منذ اواسط الثلاثينات يدعو الى الادراك بأن الاستعمار ظاهرة طبقية ، والى أن الانتاج الفني يجب ان يكون موجها) ورجا الحوراني ، وعبداله البندك ، وخليل البديري ، ومحمد عزة دروزة ، وعيسى السفري (الذي مجد استشهاد القسام تمجيدا له معناه الثوري العميق) ذلك الاحتدام في الجو الثقافي الفلسطيني ، الذي وصل الى ذروته في الثلاثينات، أخذ كما نرى أشكالا متعددة في التعبير ، ومع ذلك فقد ظلت اولوية التأثير — لاعتبارات عديدة منها تاريخ الادب العربي نفسه — للشعر وللشعر الشعبي الذي كان بدوره تعبيرا، ايضا، عن ذلك الجو. ان هذا وحده هو الذي يفسر ذلك الدور الذي كاد ان يكون وعظا سياسيا مباشرا ، الذي انتدب الشعر نفسه ليلعبه في تلك الفترة . ففي ١٩٢٩ على سبيل المثال كان ابراهيم طوقان يكشف ، في وقت مبكر ، ذلك الدور الذي كان يلعبه الملاكون الكبار في مسألة الارض :

باعوا البلاد الى اعدائهم طمعا
بالمال ، لكنما اوطانهم باعوا
قد يعذرون لو ان الجوع ارغمهم
والله ما عطشوا يوما ولا جاعوا

كان ابراهيم طوقان قد أطلق في العام نفسه ملحمته عن احكام الاعدام التي أصدرتها حكومة الانتداب على الشهداء الثلاثة : فؤاد حجازي من صفد ، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل ، وهي القصيدة التي اضحت شهيرة للغاية ، واضحت تعتبر جزءا من تراث الثورة ، مثلها مثل قصيدة عبد الرحيم محمود في ١٩٣٥/٨/١٤ ، التي خاطب بها الامير سعود الذي جاء يومذاك يزور فلسطين: المسجد الاقصى ، اجئت تزوره
أم جئت من قبل الضياع تودعه ؟

سوف يستشهد شاعرنا هذا في ١٩٤٨ في معركة الشجرة في فلسطين ، ولكنه قبل ذلك يلعب دورا بارزا مع أبو سلمى وطوقان في ارساء دعائم الشعر الفلسطيني المقاوم الذي سيضحى فيما بعد ، تحت الاحتلال الاسرائيلي ، من أبرز مظاهر صمود الجماهير الفلسطينية .

لقد رافق الشعر والشعر الشعبي التحرك الجماهيري منذ اوائل الثلاثينات بصورة رئيسية ، وعبر عن انفجار الثورة وعن دقائقها وغناها : ان قصيدة ابو سلمى « انشر على لهب القصيد » التي أرخ فيها لثورة ١٩٣٦ تكشف بجرأة تلك الخيبة المرة التي نشأت عن خذلان الانظمة العربية للثورة :

يا من يعزون الحمى
ثوروا على الظلم المبيد
بل حرروه من الملوك
وحرروه من العبيد ...

ويذكر بالشاعر الشعبي « عوض » الذي كتب على جدران زنزانته في عكا ليلة اعدامه في ١٩٣٧ قصيدة رائعة كانت نهايتها :

ظنيت النا ملوك
تمشي وراها رجال
تخسا الملوك ان
كان هيك الملوك انذال
والله تيجانهم ما
يصلحوا النا نعال